هوامش

يأتي اختيار اليوم الدولي لإلغاء الرق في الثاني من ديسمبر، تذكيراً باليوم الذي شهد توقيع اتفاقية الأمم المتحدة لمنع الاتجار بالبشر واستغلال الآخرين في البغاء سنة 1949

150 مليون طفل في العالم معرّضون للعمل الإجباري (Getty)

تجارة الرق
23 قرناً لن تكفي

ياسر غريب

منذ 23 قرناً، قال أرسطو إن «الرِّق سيبقى ضرورياً ما دامت الآلة لا تعمل بنفسها». وفي 2007، افتتح بان كي مون الأمين العام السابق للأمم المتحدة السابق، كلمته في مثل هذه الأيام بقوله: «كان ينبغي لليوم الدولي لإلغاء الرِّق أن يكون، في وقتنا الراهن، من مخلفات الماضي البعيد التي لا تُذكر إلّا في كتب التاريخ عند الحديث عن أفظع جرائم البشرية، لكن الأمر ليس كذلك». وبالتأكيد، لم يتغير الوضع للأفضل طوال السنوات التالية إن لم يكن قد ازداد سوءاً!

القوانين الدولية والمحلية ليست كافية لوأد الظاهرة تماماً. وسعار الهيمنة على الآخر والحروب الشرسة وما تخلفه من دمار؛ كل ذلك يدفع الفقراء والمنكوبين دفعاً للوقوع في شِراك العبودية بأنماطها الحديثة. فالعالم لم يخل بعد من الاستعمار والاستيطان والتمييز العنصري ونهب الثروات والقهر الجنسي وتسخير الناس وخطف البشر.

يوم يتيم

يأتي اختيار اليوم الدولي لإلغاء الرق في الثاني من ديسمبر/ كانون الأول، كل عام، تذكيراً باليوم الذي شهد توقيع اتفاقية الأمم المتحدة لمنع الاتجار بالبشر واستغلال الآخرين في البغاء سنة 1949. في واحدة من الإنجازات الحقوقية المعدودة في اتجاه القضاء على هذا السلوك الإجرامي الذي يعاني منه المستضعفون.

ينصب التركيز في هذا اليوم على القضاء على أشكال الرق المعاصرة، كالاتجار بالأشخاص والاستغلال الجنسي والزواج القسري والعمل الجبري للأطفال والكبار، والتجنيد القسري للأطفال لاستخدامهم في النزاعات المسلحة. وهي حالات من الاستغلال لا يمكن للشخص المُستعبد أن يرفضها أو يغادرها لأسباب متعددة، كالتهديد والعنف والإكراه والخداع وإساءة استعمال السلطة.

الواقع يقول إن مضمون الرق لا يزال يسيطر على جنبات العالم الحديث، ووفقاً لبيانات مؤشر الرق العالمي؛ فإن ما يقترب من 46 مليون شخص لا يزالون تحت نير الاستعباد في 167 دولة. وتظهر أرقام مؤشر العبودية العالمي أن العالم العربي كغيره لم يتخلص بعد من الرق كما يُظن. فتقول الأرقام إن عدد الأشخاص الواقعين تحت العبودية في العالم العربي تبلغ 2,9 مليون شخص.

يذكر عبد السلام الترمانيني في «كتابه الرق.. ماضيه وحاضره» أنه بعد إقرار اتفاقيات الأمم المتحدة التي اعتبرت الرق وتجارته جرماً، اتسع نطاق الرق ونشطت تجارته باعتراف القسم الاجتماعي والاقتصادي لهيئة الأمم المتحدة، فقد أسهمت وسائل النقل وتحديثها في تقريب المسافات بين البلاد، فتيسرت بذلك تجارة الرقيق وزاد نشاطها، فالرقيق في الماضي كان يُنقل في سفن ويُحشر في عنابر عفنة، أما الآن فإنه ينقل في طائرات. والرقيق من قبل كان يقيد بسلاسل من حديد تدل عليه، أما الآن فإنه يقيد بقيود لا تنم عنه ولا تدل عليه كالإغراء أو المخدر أو الإكراه المعنوي.

عبوديات سائدة

توثق التقارير المتتابعة للأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية استمرار وجود الأشكال القديمة من الرق المُجسَّدَة في المعتقدات والأعراف التقليدية. نتجت هذه الأشكال عن التمييز القائم منذ عهد طويل ضد أكثر الفئات استضعافاً في المجتمعات مثل: أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم من طبقة اجتماعية دنيا، والأقليات القبلية والسكان الأصليين.

ومن الأشكال الحديثة للاستعباد العمل القسري كالأعمال المنزلية والبناء والزراعة، وهذا النوع قد تشرف عليه بعض الحكومات مثل كوريا الشمالية، والعمل الإجباري في السجون كما في معسكرات شيانجيانغ بالصين، وهناك الاستعباد نتيجة ابتزاز المهاجرين غير المسجَّلين دون إقامة قانونية بعد وصولهم لبلدان اللجوء وهو ما صار منتشراً في أوروبا.

أما عن عمالة الأطفال؛ فتقول منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونسيف) إن واحداً من كل ستة أطفال يجبر على العمل بما يخالف اتفاقية حقوق الطفل، وتشير منظمة العمل الدولية إلى أن حوالي 150 مليون طفل في العالم معرّضون للعمل الإجباري.

وفي مجال الاستغلال الجنسي القسري؛ يخضع أكثر من 4,8 ملايين شخص لهذا النوع، حيث تمثل النساء والفتيات نسبة 99% من ضحاياه، إضافة إلى 15,4 مليون فتاة وقعن في شرك الزواج القسري. ومن الأشكال الفجة لهذا النوع ما يسمى في شبه الجزيرة الهندية وبنغلاديش «عبودية الدَّين»، حيث تجبر المرأة على البغاء من أجل سداد ديون مفترضة لمالك بيت الدعارة مقابل الحد الأدنى الذي يبقيها على قيد الحياة من مأكل وملبس. وفي أوروبا بث تحقيق نشرته قناة الجزيرة أن بعض البلاد مثل رومانيا تُجبَر فيها آلاف الفتيات على العبودية الجنسية بعد أن يتم خداعهن وإغراؤهن بالعمل في مجالات لائقة ثم تهريبهن بطريقة غير قانونية إلى بريطانيا.

باختصار

ينصب التركيز في هذا اليوم على القضاء على أشكال الرق المعاصرة، كالاتجار بالأشخاص والاستغلال الجنسي والزواج القسري والعمل الجبري للأطفال.

■■■

هناك ما يقترب من 46 مليون شخص لا يزالون تحت نير الاستعباد في 167 دولة.

■■■

توثق التقارير الأممية والمنظمات غير الحكومية استمرار وجود الأشكال القديمة من الرق المُجسَّدَة في المعتقدات والأعراف التقليدية.

وأخيراً

شكراً محمد رمضان

سما حسن

لماذا كلُّ هذه الضجَّة بسبب المدعو محمد رمضان، وما قام به من فعل قبيح؟ لماذا قامت الدنيا عليه أكثر من كل مرة، منذ أن أصبح «نمبر وان»، ويراه كثيرون شباب في مصر أنه يمثلهم؛ لأنه فهم منطق الحياة، بصورة صحيحة، وتحوَّل إلى «بلطجي». وقد نعِم بالثراء، وهو ينتقل من قاع المجتمع، حيث الفقر والتهميش؛ ليصبح في مصافِّ النجوم. وفيما أصبح يعيث في الأرض فسادًا؛ بجهله وقلَّة درايته وقلبه موازين القيم، كان ملايين الشباب؛ ممَّن يحبُّونه، يحاولون احتذاءه، والتعلُّم من مفردات لغته التي تمثِّل معاني القوة النَّزِقة، والذراع، متغاضين عن تكبُّره عليهم، وتعاليه، وهو يخرج على قومه، في زينته، متباهيًا بسيَّاراته الفارهة، أمام جوعهم وبطالتهم. ما المطلوب، أو المنتظَر من محمد رمضان؟ وفيما أنتم تتوقَّعون منه ما هو فوق طاقته، هل تنتظرون منه أن يخرج هاتفًا باسم العروبة وفلسطين والمسجد الأقصى؟ وأن ينادي بعدم تهويد القدس وتقسيمها؟ هل تنتظرون ذلك من هذا الشاب الذي امتلأ غرورًا، ولفَّته بطانةُ سوء، وأصبح يتحرَّك بالتحكُّم عن بُعْد؛ لكي يداري غباءه وجهله الذي لم يستطع المال أن يخفيه، أو يحسِّنه، أو يلطِّفه.

ما المتوقَّع من محمد رمضان الذي قُدِّم لمغنٍ إسرائيلي واجهة بلده، وفي يوم كانت أم كلثوم واجهة مصر، وشتَّان بين هذا وذاك، ولسنا في حاجة لسرد قائمة أسماء لفنَّانين ومغنين عرب ومصريين، مثل أم كلثوم؛ لكي نستذكر مواقفهم الوطنية، إزاء بلادهم، أو إزاء القضية الفلسطينية. ولكن رمضان أساء لبلده ولشعبه، في البداية، فأيُّ خيرٍ يُتوَسَّم فيه، وهو يقدّم واجهة لمصر. لذلك كان من الأجدر أن يُسحَب البساط من تحت قدميه، منذ زمن، وليس اليوم، بعد خطأ متوقَّع من شخص جاهل لا يهمُّه سوى المال؛ لأنه على يقين أن نجمه سوفَ يذوي، في سنوات قليلة، ولن يأتي أحد على ذكره. يجب أن نتوجَّه بالشُّكر للمدعو محمد رمضان الذي أتلف ذوق المشاهد، وغيَّر بوصلة البطل في السينما والدراما. علينا أن نشكره على صنيع طيِّب وحيد، أنه أعاد التأكيد على الإجماع الشعبي المصري لرفض التطبيع مع إسرائيل، على الرغم من مرور حوالي أربعين عامًا على توقيع أول معاهدة سلام بين إسرائيل ودولة عربية، استردّت مصر على إثرها سيناء التي تتجاوز مِساحتها مساحة فلسطين بكثير. ولم ينسَ المصريون شهداءهم، ودماء أبنائهم، في حروبهم مع إسرائيل، ولم تفلح معاهدة السلام في تغيير صورة دولة الاحتلال تلك، ثم جاء محمد رمضان! وكأنهم أرادوه كاسِرَ الحاجز الحقيقيِّ، لا الوهميِّ، أمام التطبيع؛ فخانهم التقديرُ، وخانه، وقد يكون خبثاء أغرَوْه بهذه الفِعْلة؛ ليجسُّوا به نبض الشعوب، أو ليمهِّد الطريق لأنفُسٍ ضعيفة، بعده؛ فلا

> أعاد التأكيد على الإجماع الشعبي المصري لرفض التطبيع مع إسرائيل، على الرغم من مرور أربعين عاماً على أول معاهدة سلام

أسفَ عليه، شخصيًا، عندهم. شكرًا، محمد رمضان؛ لأنك أكَّدت عمق الهُوَّة بين الإجماع الشعبي والقرار السياسي؛ لأنك أظهرت حقيقة أن الشعب لم يعد يملك أكثر من المقاطعة الثقافية بكل صورها، وهي الإعلان الحقيقي للموقف العربي من القضية الفلسطينية، ومن حقِّ الشعب الفلسطيني في أرضه المسلوبة، وهي تأكيدٌ لفشل جهود العدوِّ الاسرائيلي في فرْض ملفِّ التطبيع الثقافي، أو الاجتماعي، على الشعوب العربية التي ظلَّت جبهتها الداخلية الشعبية، وسوف تظلُّ متماسكة الحصون، حتى وإن ظهرت حالاتٌ فردية، بين حين وآخر؛ فهي الزَّبَد الذي سوف يذهب جُفاء. ويكفي أن يتحوَّل «نمبر وان»، بين عشيَّة وضحاها، إلى شخص منبوذ؛ بقرار من أكثر الناس فقرًا وبؤسًا، وكأنَّ العلاقة مع العدوِّ هي القشَّة التي قصمت ظهر البعير، فالشعب الذي احتمل صعود محمد رمضان على ظهره طويلا، وغيَّبه بأفكارٍ وتوجُّهات غريبة، ووصولية، وانتهازية، يقول اليوم كلمته؛ من أجل فلسطين؛ فلسطين الخاصرة المؤلمة لكلِّ مواطن عربي شريف، على هذه الأرض، والتي سالت على أرضها دماء الأحرار في معارك خلَّدها التاريخ.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**